Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بين الصراع الوحشى والتأمل والصفاء الروحى . فى تلك الأوقات الهادئة يبدو البحر للبحار كأنه بحر مزدان بالأزاهير ، والأمواج كالمروج الخضراء ، ويلتقى الواقع والوهم لقاءً صوفيًا . وبالرغم من أن منظر سكون البحر وقتى ، إلا أنه يؤثر فى كل بحار بما فى ذلك بطل الرواية القبطان الصارم « آخاب » ، الذى كثيرًا ما يتأمل البحر والكون ، فى صمته ، ويسبح بأفكاره مع أمواجه فى رؤية شمولية للكون والحياة ، حيث يرى الحياة كالأمواج بين مد وجزر إلى أن تستقر الروح فى مينائها لأخير . ويظل « آخاب » يتساءل ، فى أى أثير يبحر هذا العالم ، ما هو سر الروح . فهذا هو المعنى الباطنى الذى يومئ إليه ملفل فى روايته من وراء عرض وقائع الصراع بين الإنسان وحوت العنبر . والرواية شأن كل أدب عظيم ، « يجب أن يومئ إلى شىء ، يختلف عن محتواه وعن شكله الشخصى ، وهو حظيرته الخاصة ، وبه على الضبط يفرض نفسه بوصفه أدبا » ، كما يقول رولان فى كتابه « الكتابة فى درجة الصفر »[١٢] – تجمع بين الإيماء والإيحاء والرمز وبين التصوير الواقعى . فالصراع فى الرواية ، واقعى ورمزى ، مع البحر وحيتان العنبر ومع الروح والقدر . وهو صراع خارجى ظاهرى يدور فى الواقع وصراع داخلى باطنى يدور فى الروح والكون . والأخير هو المغزى العميق الذى يومئ إليه ملفل فى روايته من وراء عرض وقائع الصراع بين الإنسان وحوت العنبر ، صراع أرضيته مياه البحار والمحيطات وسماءه الكون كله .

هذا الصراع الذى جسده ملفل فى شخصية بطل الرواية « آخاب » قبطان السفينة ، وبينه وبين حوت العنبر الأبيض ويدعى « موبى ديك » . ذلك الصراع الدرامى الذى بدأ منذ التهم حوت « موبى ديك » ساق القبطان « آخاب » . ومن ثم أخذ آخاب فى مطاردة « موبى ديك » عبر كل البحار والمحيطات حتى لقى حتفه وفقد سفينته وقواربه ورجاله الثلاثين ، بالرغم من كل انتصاراتهم السابقة فى هذا الصراع الواقعى واصطيادهم لعشرات الحيتان وتزويدهم مستودعات سفينتهم بالمئات من براميل زيت حوت العنبر . فالإنسان ينتصر ، بذكائه وقوته ومهارته ووعيه الفكرى والتاريخى ، على قوى الطبيعة والبحر وحيواناته وتقلباته وعواصفه . أما فى وقائع الصراع بين آخاب و « موبى ديك » فإنه لم ينتصر ، لأن موبى ديك رمز أكثر منه واقع . والصراع نفسه صراع بين الإنسان والمطلق ، بين الإنسان ومصيره ، بين الإنسان وقدره . وأراد ملفل أن يؤكد من خلال مصرع آخاب البطولى سيطرة القدر وسطوته

(١٢) رولان بارت ، الكتابة فى درجة الصفر ، ترجمة نعيم الحمصى ، ص ٥ و ٦ .